Portraits de deux enseignants

Morceau choisi d'un roman

de Mohamed Choukri ("Le temps des erreurs")

"زمن الأخطاء" لـمحمّد شكري

"Le temps des erreurs" *(زمن الأخطاء) prend la suite du "Pain nu" : il raconte notamment comment l'auteur (cf. page suivante), à l'âge de 21 ans, entre à l'école et apprend à lire et à écrire. Très vite, il suit les cours de l'Ecole Normale et devient instituteur. Il existe là aussi une traduction de ce récit autobiographique (Traduction de Mohamed El-Ghoulabzouri- Ed. du Seuil - Collection "Points").*

Le professeur d'arabe...

في قسم الشهادة الابتدائيّة ، يدرّسنا موادّ اللغة العربيّة معلّم شابّ متبجّح بنفسه . يُعنى بأناقة لباسه أكثر ممّا يُعنى بتدريسنا . يتمشّى بين الصفوف مختالاً متعجرفًا [1] كما أراه في الشوارع وهو يتبع إحدى الفتيات كاشفًا أسنانه البيضاء . بين حين وآخر يسوّي عقدة رباطة عنقه على انعكاس زجاج النافذة إذا كانت مفتوحة وإذا لم تكن يفتحها . يحكي لنا النكات أو يطلب من بعضنا أن يحكيها . يضحك لأتفه الأشياء . يقرأ الصحف والكتب في القسم . يطلب منّا أن نراجع دروسنا السابقة في صمت حتّى لا نشوّش عليه استغراقه في قراءتها . أهو جاء ليعلّمنا أم جاء ليتعلّم ؟ هكذا أفكّر في القرد الأمرد الأسمر .

يغضب بسرعة ، يسبّ من يخطئ في أدنى شيء . إنّه ابن أمّه الكبير هذا المعلّم . كلّنا ، في نظره ، حمير وهو راكبنا بعلمه وعصاه . يضع دائمًا قضيبًا على مكتبه . يضرب من يغضبه : إنّ ضرباته تجعل المعاقت يقفز ويتقوّس . قد يرجع إلى مكانه وهو يدمع . إنّ هذا الولد الكبير المعلّم يغضب مثل من هرب منه قرده إلى السطح كما يقال . يكرهني ، يسخر من ضعفي في كلّ موادّ العربيّة . في إحدى الحصص ، لم أكن قد حفظت قصيدة صفيّ الدين الحلي [2] التي مطلعها هذان البيتان ، إذا لم أخطئ :

سافر تجد عوضًا عمّن تفارقه

وانصب فإنّ لذيذ العيش في النصب

إنّي رأيت وقوف الماء يفسده

إن سال طاب وإن لم يجر لم يطب

اقترب منّي غاضبًا وهوى على كتفي بقضيبه الرفيع ثلاث مرّات . في الثالثة ، مسّني رأس القضيب في أذني اليسرى . ظلّ يحقّر سنّي المتقدّمة ، ومستواي الدراسيّ حتّى ختم غضبه القرديّ بهذه الكلمات :

– حمار ! غبيّ ! أأنت ستدرس ؟ عد إلى طنجتك مع أولاد السوق بدلاً من أن تضيع وقتك هنا وتضيعه لنا معك !

كانت تلك هي المرّة الوحيدة التي يضربني فيها وبعدها اقتصر على السبّ ، بين مرّة وأخرى ، حتّى نسي وجودي .

لمست أذني الدامية . استنكار في نظرات رفقائي ، تآزروا معي صاغرين ... فكّرت أن أنهض وأرتمي عليه ، أن أتناطح معه كما كنت أفعل في تطوان أو طنجة في المشاجرات حتّى ولو انهزمت ، أن ... نتعارك حتّى يخور أحدنا ، أن أحاول عضّ أذنه الحماريّة حتّى أبترها وأبصقها في وجهه ... لكن سيكون آخر يوم لي في المدرسة . سأترك أذن الحمار لأسنان الحمير . عندما انتهى الدرس ، ذهبت إلى المغاسل ونظّفت أذني بالماء من الدم المتخثّر . كانت قطرات قد سقطت على كتفي . بدأت أذني تسيل من جديد بعد الغسل .

(suite page suivante)

---

(1) = *imbu de lui-même et arrogant*

(2) Poète irakien mort en 1339.

Le professeur de calcul...

يدرّسنا أيضًا نفس المعلّم الذي اختبرني أوّل يوم في الحساب . سريع الغضب مثل الآخر ، صارم ، ينعتنا بالحمير في حجرة الدرس ، وفي قاعة المطعم . يحمل دائمًا كتابًا أو كتابين أو أكثر باللغة الأجنبيّة . سمعت أنّه يدرس الإنجليزيّة بالمراسلة ويعرف الاسبانيّة ، وقليلاً من الفرنسيّة . يدرّسنا الحساب والتاريخ والجغرافيّة . هو أيضًا يضرب بالقضيب على أطراف الأصابع أو يصفع ، لكنّه لا يغادر حصّته حتّى يستدرج المعاقب إلى المصالحة معه . لم نكن نحقد عليه مثل الآخر . يساعد بعض التلاميذ المعوزين الوافدين من البادية ببعض النقود والثياب ويزورهم في مساكنهم متفقّدًا أحوالهم مراقبًا فروضهم .

أنا لم تشملني رحمته ورعايته خارج المدرسة . لم يكن لي مكان قارّ أنام فيه . كنت أتبع خطى [3] السكارى والحشّاشين وطوّافي الليل . أجد لي دائمًا مكانًا بينهم . لقد كانت لنا نفس الذكريات واللغة ، لنا عالمنا ليلاً ونهارًا ، في لعنتنا الجميلة . إنّ السكارى والحشّاشين وطوّافي الليل يتشابهون ويتآزرون أينما كانوا ، في أيّ زمان ومكان . إنّهم يرفضون الدخيل عليهم والوسيط ، إذا لم يعتنق لعنتهم .

بعض رموز العالم بدأت أجد لها معانٍ فيما أقرأه . نجحت في امتحان الالتحاق بالتعليم الثانويّ . نقلت [4] من تلميذ في مادّة الحساب . قيل إنّ بعضهم نجح بالرشوة أو الوساطة . قلت لنفسي : «أنا أيضًا غششت في مادّة الحساب» . ساعدني المطعميّ السلهاميّ [5] على شراء تذكرة السفر وعدت إلى طنجة ...

(3) = *les pas des ivrognes, des fumeurs de kif et des noctambules.*

(4) = *j'ai copié sur...*

(5) Nom du patron du restaurant.

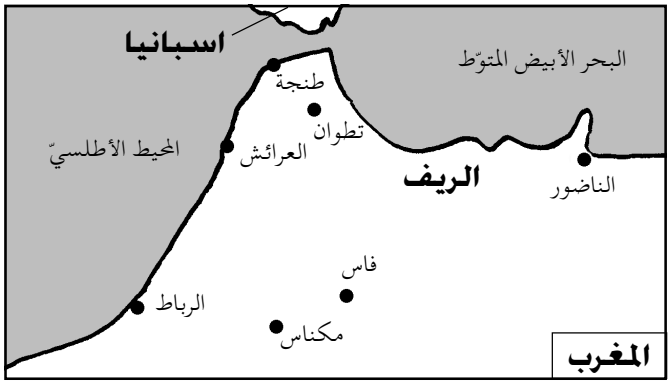

Cet extrait a été publié avec le lexique dans le n° 49 de TextArab

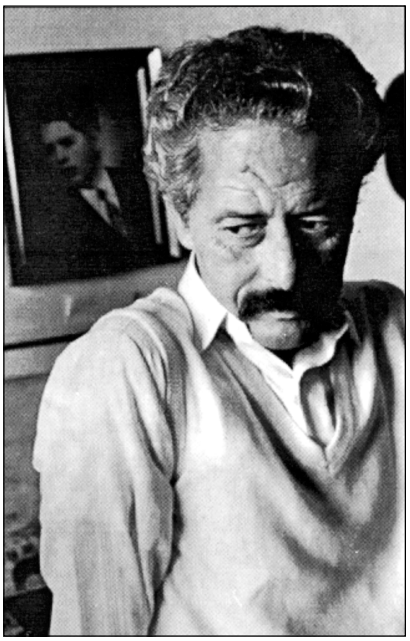

Mohamed Choukri est l'un des grands écrivains marocains contemporains.

Né en 1935 près de Nador (dans le Rif marocain), il débarque avec sa famille à Tanger à l'âge de 7 ans, fuyant la famine qui y sévissait alors.

Durant son adolescence, il mène une vie de vagabond, à la dérive dans le monde secret de la misère et de la délinquance. Il racontera cette partie de sa vie dans un premier récit autobiographique الخبز الحافي *(traduit en français par Tahar Ben Jelloun sous le titre : "**Le pain nu** " - Ed. du Seuil - collection Points) dans une langue simple et savoureuse, souvent crue, ce qui posera des problèmes pour sa publication (le livre fut d'abord publié en anglais, dans une adaptation faite par Paul Bowles sous le titre "For Bread Alone" - Londres - 1973).*